الدراسات الصوتية الحديثة
وعلم التجويد

إعداد الدكتور:
مـحـمـد أحـمـد الـجـمــل
الأستاذ المساعد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة اليرموك
إربد - الأردن

ملخص

ينعقد هذا البحث لدراسة جوانب العلاقة بين علم الصوتيات الحديث وعلم التجويد، ذلك أن بعض الباحثين المعاصرين المهتمين بالدراسات الصوتية الحديثة أرادوا أن يحكِّموا نتائج دراساتهم واجتهاداتهم في مباحث علم التجويد النظرية والتطبيقية، وأن يعدِّلوا على هذه المباحث في جانبيها الوصفي والأدائي على السواء، وترتب على ذلك تخطئة علماء التجويد السابقين في كثير مما قرروه من مباحث علم التجويد، وفيما تلقوه بالمشافهة كابرا عن كابر.

فما مدى دقة وقيمة هذه الدراسات الصوتية الحديثة من حيث تناولها لأحكام التجويد وتقييمها لمنجزات علماء التجويد، وما الضوابط التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة علم التجويد، وما حدود الاستفادة من علم الصوتيات الحديث في خدمة هذا العلم؟

Abstract

This research is meant to study the constituents of the relation between the recent phonetics/phonics and Qur'anic intonations "Tajweed" as some contemporary researchers having interest in the recent phonetics wished to valuate the conclusions of their own studies and their discretions (independent opinions) in the theoritical and practical aspects of research works of Qur'anic intonations (Tajweed) and to introduce amendments to such research works in their both descriptive and performative aspects alike. This resulted in finding faults with the precedent Qur'anic intonations (tajweed) scholars in a plenty of their prescriptions in their Tajweed research works and in the verbal receptives they acquired from precedents in succesion,from a generation to the next.

Now, how accurate are such recent phonetical studies in terms of its tackling of the Tajweed technicalities and of valuating the accomplishments of Tajweed scholars? Further, what are the controls that are to be considered upon studying the Qur'anic intonations "Tajweed"?

Moreover, to what extent can the recent phonetics be useful in serving the cognition of Tajweed?

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله.

أما بعد:-

فهناك علاقة جدلية لا انفكاك لها بين علم الصوتيات وعلم التجويد، ذلك أن علم التجويد إنما هو علم صوتي في أصوله وفروعه ومقرراته، وبينما نجد علم التجويد غلب عليه طابع الثبات والاستقرار- ولا أقول الجمود - لأنه يتعلق بالنقل والتوقيف، نجد علم الصوتيات - خصوصاً في العصر الحاضر – ينموا نمواً كبيراً ومطرداً بفضل التقدم التقني، والاكتشافات والاختراعات الحديثة للأجهزة الصوتية، وامتد ذراع الدراسات الصوتية الحديثة يتدخل في العديد من علوم اللغات عموماً ومنها العربية، وكان لعلم التجويد نصيب واضح من هذا التدخل، وثارت مناقشات ودراسات وجدالات حول العديد من مفاهيم ومصطلحات ومعارف علم التجويد من قبل المهتمين بالدراسات الصوتية، وبرزت دعوات تحث على ضرورة الإفادة من هذا العلم الحديث في رفد علم التجويد وتطويره بل وتصويب بعض مباحثه.

فما أحقية هذه الدعوات؟ وما حدود العلاقات والتعاون بين العلمين؟

هذا البحث يعني بمناقشه هذه التساؤلات، مناقشة تجمع بين الالتزام بأصالة التشريع وثبات كثير من مفاهيمه، وروح المعاصرة ومرونة التطبيق في العديد من متعلقات التشريع.

ولتحقيق ما انعقد البحث لمعالجته، جاءت هذه الدراسات – بعد المقدمة – في مبحثين وخمسة مطالب وخاتمة على النحو الآتي:-

المبحث الأول:- علم التجويد نشأته الصوتية واستقلاله في الشخصية.

المطلب الأول:- نشأة علم التجويد نشأة صوتية

المطلب الثـاني:- اسـتقلالية وتمـيز علمـاء التجويد في الدراسـات الصوتية

المطلب الثالث:- غاية الدراسات الصوتية بين التجويد وعلماء اللغة

المبحث الثاني:- الدراسات الصوتيه الحديثة وعلم التجويد.

المطلب الأول:- طبيعة علم الصوتيات الحديث

المبحث الأول

علم التجويد نشأته الصوتية واستقلاله في الشخصية

المطلب الأول: نشأة علم التجويد نشأةٌ صوتية

لم يُعرف مصطلح (التجويد) بمعنى العلم الـذي يعـنى بدراسة مخـارج الحروف وصفاتها وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق إلا في حدود القرن الخامس الهجري، كذلك لم يعرف كتاب ألف في هـذا العلم قبل القـرن الرابع الهجـري، ومعـنى هـذا أن علم التجويد تـأخر في الظهـور علما مسـتقلا بالنسـبة إلى كثـير من علـوم القـرآن وعلـوم العربية أكـثر من قرنين من الزمان[1].

ولعل أول من صـنف في علم التجويـد، كما يشـير ابن الجـزري[2]- هو أبو مـزاحم موسى بن عبيد الله بن يحـيى الخاقـاني (ت 325هــ) وذلك في قصيدته الرائية المشهورة بالقصيدة الخاقانية، والـتي كـان لها أثر واضح في جهـود اللاحقين في علم التجويـد. فهم بين مقتبس منها مستشـهد بأبياتهـا، وبين معارض لها أو شارح موضح لمعانيها.

ولم يستخدم أبو مـزاحم في قصـيدته هـذه كلمة (التجويـد) ولا أيا من مشتقاتها واستخدم كلمة (الحُسْنِ) بـدلا منهـا، وهـذا يـدل على أن مصـطلح (التجويد) لم يكن مشهورا حينذاك[3].

ولم يـذكر ابن النـديم المتـوفى –على الأرجح- سـنة385هــ في كتابه (الفهرست) أيّ كتـاب يحمل اسم التجويد أو يمكن أن يكـون موضـوعه هـذا العلم بالرغم من ذكره لمئات الكتب المؤلفة في علـوم القـرآن، وهـذا يـدل على أن علم التجويد كـان لا يـزال في القـرن الرابع الهجـري يخطو خطواته الأولى.

أما القـــرن الخـــامس الهجـــري فإنه يمثل التـــاريخ الحقيقي لظهـــور المؤلفات في علم التجويد، حتى إننا لنجد أعظم مؤلفات التجويد قد ظهـرت في هذا القرن ومن أشهرها كتاب (الرعايـة) لمكي (ت437هــ) الـذي أشـار إلى أن أحداً من المتقدمين لم يسبقه إلى تأليف مثل هذا الكتاب[4]، وكتاب

(التمهيد) لأبي عمرو الداني (ت444هـ) والـذي أشـار فيه إلى ما يقـرب من إشارة مكي عن كتابه[5].

هـذا في الـوقت الـذي كـان للُّغـويين والنحـاة دراسـات في الأصـوات العربية ابتداء من القرن الثاني، ولكنها كـانت دراسـات مجـتزأة ومتفرقة ولا تشكل في مجموعها علما مستقلا. وأبرز هذه الدراسات ما كتبه:

1. الخليل بن احمد (ت170هـــ) في مقدمة كتـــاب العين عن مخـــارج الحروف وصفاتها.
2. سيبويه (ت180هـ) في (الكتاب) في باب الإدغام خاصة.
3. المبرد (ت285هـ) في كتاب (المقتضب) في أبواب الإدغام.
4. ابن دريد (ت321هـ) في مقدمة جمهرة اللغة.
5. ابن جني (ت392هـ) في سر صناعة الإعراب.

أما كتب القراءات القديمة التي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث فإنه لم يصل إلينا منها شيء يذكر[6]، وأقدم كتاب وصل إلينا من كتب القــراءات هو كتـاب (السـبعة في القـراءات) لأبي بكر أحمد بن موسى بن العبـاس بن مجاهد البغدادي (ت324هـ) الذي حققه الدكتور شـوقي ضـيف، ولا نجد في هـذا الكتـاب أبوابا مسـتقلة تعـالج موضـوع الأصـوات العربيـة، وإنما جـاءت الملاحظات الصوتية متناثرة في ثناياه.

ولم أقصد من هذا العـرض التـاريخي المـوجز إلى الحـديث عن تـاريخ علم التجويـد، ولكـني أردت أن أتوسل من خلال ذلك إلى بيـان تـأخر ظهـور الدراسـات الصـوتية الـتي شـكلت هـذا العلم عن الإشـارات الصـوتية الـتي سبقت هذه الجهود عند علماء اللغة والقراءات.

بعد ذلك قام علماء التجويد باسـتخلاص المـادة الصـوتية من مؤلفـات النحويين واللغـويين وعلمـاء القـراءة، وصـاغوا منها هـذا العلم الجديد الـذي اختاروا له اسم (علم التجويد)، وواصلوا أبحاثهم الصـوتية مسـتندين إلى تلك المادة، وأضـافوا إليها خلاصة جهـدهم حـتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية.

المطلب الثاني: استقلالية وتميز علماء التجويد في الدراسات الصوتية:

وبـالرغم من اسـتناد علمـاء التجويد على جهـود سـابقيهم من علمـاء العربية وعلماء القراءة فقد جاء عملهم متميزاً، ولا يمكن أن نعده جــزءا من تلك الجهود، وإنما جاء عملا شاملا للدرس الصوتي، أما علماء العربية فــإنهم عالجوا الموضوع في إطار الدرس الصرفي، وهو أمر تجاوزه علمــاء التجويد وذلك بالنظر إلى أصوات اللغة نظرة أشمل من ذلك.

أما علماء القراءة فإنهم كانوا مشغولين برواية النص القرآني الكريم، وضبط حروفه كما نقلتها طبقات علماء القراءة طبقة عن طبقة، حتى تنتهي إلى طبقة الصحابة رضوان الله عليهم، الذين تلقوا القرآن من النبي.

ولا يمكن أن تعد الكتب التي ألفها القرّاء في وصف القراءات القرآنية بدءا للتأليف في علم التجويد، لأن علم القراءة وعلم التجويـد، وإن كـان كل منهما يرتبط بألفاظ القرآن، يختلفان في الموضوع كما يختلفـان في المنهج، أما الموضوع فإن علم التجويد لا يعنى بـاختلاف الـرواة بقـدر عنايته بتحقيق اللفظ وتجويده، مما لا اختلاف في أكثره بين القــراء، وأما المنهج فــإن كتب القراءات كتب روايــة، وكتب التجويد كتب درايــة، تعتمد على مقـدرة العـالم في ملاحظة أصوات اللغة وتحليلها ووصفها[7].

وقد بين مكي وغـــيره من العلمـــاء الفـــروق بين علم التجويد وعلم القـراءات بما لا يتسع المقـام لـذكره هنا ومن ذلك ما قاله محمد المرعشي (الملقب بساجقلي زادة، ت1150هـ) في كتابه (ترتيب العلـوم)، حيث قـال: "إعلم أن علم القراءة يخالف علم التجويد، لأن المقصـود من الثـاني معرفة حقائق صفات الحروف مع قطع النظر عن الخلاف فيها، مثلا يعرف في علم التجويد أن حقيقة التفخيم كذا وحقيقة الترقيق كـذا، وفي القــراءة (يعـرف) فخمها فلان ورققها فلان، وبهذا يندفع ما عسى أن يقال من أن علم القراءة يتضمن مباحث صفات الحـروف كالإدغـام والإظهـار والمد والقصر والتفخيم والترقيق، وهي مباحث علم التجويد"[8].

ولا يعني تأخر ظهور التأليف في علم التجويد أن القراء كانوا ينطقـون القرآن قبل ذلك على غير أصل واضح، كما لا يعني أن علماء التجويد اختلقوا

هـذه الأصـول أو ابتـدعوها، فـالواقع هو أن قـراء القـرآن كـانوا يُعْنَـونَ غاية الاعتناء بتجويد الألفاظ وإعطاء الحروف حقها منذ عصر الصـحابة وهلم جـرا حتى عصر ظهور المؤلفات في علم التجويد، وكـانوا يسـتندون في ذلك إلى الرواية الأكيدة والأصول المرعية عند العرب في نطق لغتهم.

فأصول علم التجويد و قواعده إذن كانت موجودة في الكلام العــربي، يحــرص عليها القــراء ويعتمـدون عليها في قــراءتهم وإقــرائهم، وإن لم تكن مدونة، شـأنها في ذلك شـأن قواعد النحو والصـرف الـتي اسـتنبطها علمـاء العربية في وقت لاحق. فعلم التجويد الذي يدرس النظام الصوتي للغة، كان موضوعه تحليل ذلك النظام واستخلاص ظواهره ووضعها في قواعد تســاعد المتعلم على ضـبطها وإتقانها حين يسـتخدم اللغــة، وهم في ذلك يســيرون على خطى علماء العربية الذين سبقوهم في هذا الميدان[9].

المطلب الثـالث: غاية الدراسة الصـوتية بين علمـاء التجويد وعلماء اللغة:

إن دراسة علماء العربية من النحاة واللغويين للأصوات العربية، كـانت تتناسب مع حاجة الموضوعات الـتي كـانوا يعالجونهـا، فمثلا الخليل بن أحمد في مقدمة معجم العين كـانت دراسـته للأصـوات لأغـراض تتعلق بـالمعجم وتنظيمه وبالكلمـات وأبنيتهـا، فانشـغاله بـترتيب الحـروف في أول المعجم وتقديمه طريقة لاختبـار مخارجها كـان لتوضـيح منهجه الـذي سـار عليه في الكتاب.

وهكذا كانت دراسة الأصوات عند علماء العربية ترتبط بـأغراض معينة في الموضوعات التي كانوا يبحثونها بما لا مجال لتفصـيله هنـا، ولم تكن تتبع نظـرة شـاملة ومسـتقلة تهـدف إلى بيـان النظـام الصـوتي للغة العربية وما يخضع له ذلك النظام من الاعتبارات الصوتية في الكلام المنطوق.

أما علماء التجويد فإن دراستهم للأصوات كانت ترتبط بشكل أساسي بمعالجة ما سـمّوه بـاللحن الخفي. فقد قسـموا اللحن إلى قسـمين همـا: اللحن الجلي: وهو الخطأ الظـاهر في الحركـات خاصـة، وقـالوا بأنه ميـدان عمل النحـــاة والصـــرفيين، واللحن الخفي: وهو الخلل الـــذي يطـــرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصـفات أو ما يطـرأ

لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق. وقالوا بـأن هـذا هو ميـدان عمل علماء التجويد، وهو يستلزم في نظرهم دراسة ثلاثة أمـور: 1- مخـارج الحــروف 2- صــفاتها 3- أحكامها التركيبيــة، وهــذه هي عناصر علم التجويد الأساسية.

فملاحظة اللحن الخفي- الـذي لا يعرفه إلا المقـريء الضـابط المتقن- في قراءة القرآن، ومحاولة معالجته وتقويم خلله كـانت السـبب الـذي يقف وراء الدراسات الصـوتية عند علمـاء التجويـد، ودراسة أصـوات اللغة وتحديد صــور نطقها الصــحيحة. حيث رصــدوا الانحرافــات المتوقعة في نطقهــا، فتحققت بـــذلك فرصة لدراسة أصــوات العربية دراسة شـــاملة، لم تتحقق للنحــاة الـــذين كــانت تشــغلهم دراسة الأصــوات لمعالجة بعض القضــايا الصرفية[10].

وقد قام علماء التجويد بتأليف كتب مستقلة لبحوثهم الصـوتية جمعـوا فيها ما تبعــثر من مبــاحث صــوتية في كتب النحو والصــرف والقــراءات، وأضافوا إليها ما جعلها تشكل علما مستقلا، وميزوها بتسمية جديدة مبتكــرة هي (علم التجويــــد) ولم يــــدعوها تحمل اسم علم النحو أو الصـــــرف أو القـراءات، فتمـيزت بـذلك شخصـية هـذا العلم وصـار النـاس يرجعـون في الدراسات الصوتية للحروف والألفاظ إلى أهل هذا العلم ومؤلفاتهم

المبحث الثاني

الدراسات الصوتية الحديثة وعلم التجويد

تمهيد:

لا بد أن نشير هنا قبل البدء في الحديث عن مـدى إمكانية إفـادة علم التجويد من الدراسات الصوتية الحديثة، إلى أن الذين طوروا علم الصـوتيات الحديث وأسسوا فيه نظريات جديدة هم الغربيـون، واخـترعوا لـذلك أجهـزة صــوتية خاصة بقيــاس النطق من حيث الــزمن والــتردد والشـــدة والطاقة وغيرهـا. وأنشـأوا لـذلك علوما يدرسـونها في جامعـاتهم ومعاهـدهم العلمية ومن هذه العلوم:

- علم الأصـوات النطقي articulatory phonetics ، ويُعـنى بدراسة آلية النطـق، وكيفية إنتـاج الأصـوات اللغويـة، وحركـات أعضـاء النطق في أثنــاء هــذا الإنتــاج، وكيفية توليد تيــار الهــواء اللازم للعملية النطقية، واتجاه حركتـه، وتصـنيف الأصـوات تبعـاً لـذلك، ومواضع نطق الأصوات الأصلية والمرحلة، وخصائص الأصوات من حيث سيرورة تيــار الهــواء أو توقفــه، والخصــائص الأخــرى الــتي تمــيز كل مجموعة من الأصــوات، ثم خصــائص كل صــوت في كل مجموعــة. ويــدرس توزيع الأصوات اللغوية إلى صوامت وحركات وأنصاف حركات [11]
- علم الأصوات التشريحي physiological phonetics ويعنى بدراسة أعضاء النطق دراسة تشريحية، وأثر الخصائص التشريحية لكل عضو من أعضاء النطق في العملية النطقية، وفي خصـائص كل صـوت من الأصوات اللغوية، ويسمى علم الأصوات الوظائفي [12]
- علم الأصــوات الفيزيــائي acoustical phonetics أو physical phonetics ويعنى بدراسة الخصائص الفيزيائية لكل صوت لغـــوي من حيث : طاقته وتردداته ؛ الأول والثـــاني والثـــالث .. الخ، وشــدته، وعلــوه، وضـغطه، وطولــه، ودرجة جهارتــه، وذبذباتــه، ودرجة وضـوحه، وغـير ذلك من الخصـائص الفيزيائية الـتي تُسـتخدم الأجهـزة الحديثة في الوقوف عليها. [13]

- علم الأصوات السمعي auditory phonetics ويعنى بدراسة أعضاء السمع، وكيفية حدوث العملية السمعية وخصائصها ودرجاتها، والإعاقات السمعية وقياسها. [14]
- علم الأصوات العصبي phonetic neuro ويعنى بدراسة عمل الجهاز العصبي المركزي في إنتاج الأصوات اللغوية، والروامز codes الخاصة بكل صوت، والإعاقات العصبية التي تؤدي إلى إعاقات نطقية أو كلامية. [15]

ويوظفون هذه العلوم في دراسة اللغات عموما، ولكنهم يركزون على اللغة الإنجليزية في محاولة إثبات تميزها وأفضليتها على لغات العالم.

ثم جاء الدارسون لعلم الصوتيات الحديث من العرب والمسلمين، وحاولوا تطبيقه على لغتنا من خلال دراسة أصوات الحروف مفردة، ومركبة. ووجدوا أن ألصق العلوم في تراثنا بهذه الناحية الصوتية هو علم التجويد. فقامت دراسات كثيرة، وقدمت مجموعة من الرسائل العلمية التي تحاول دراسة علم التجويد في ضوء علم الصوتيات الحديث، ولا ضير في ذلك، فالحكمة ضالة المؤمن، ولكن ثمة أسئلة تطرح نفسها وهي: **ما جدوى هذه الدراسات لعلم التجويد؟ وهل أضافت شيئا ذا بال في هذا العلم؟ وهل يمكن أن نغير في حقائق علم التجويد بناء على هذه الدراسات؟ أم أن فائدة دراسة علم التجويد في ضوئها تكمن في تحسين الوسائل والأساليب التي تتناول هذا العلم؟**

والإجابة على هذه الأسئلة تقتضي بحث أمرين:

أولاً: طبيعة علم الصوتيات الحديث ومجالات الإفادة منه في علم التجويد.

ثانياً: ضوابط وملحوظات للتعامل مع هذا العلم.

المطلب الأول: طبيعة علم الصوتيات الحديث ومجالات الإفادة منه في علم التجويد:

علمنا أن علم الصـوتيات الحـديث يعتمد على الأجهـزة الحديثة وعلى الحاسوب لقياس الظواهر الصوتية من عدة نـواح: من حيث الـزمن والـتردد والشــدة والطاقــة، ومن ثم يتم تحليل الظــواهر الصــوتية بنــاء على هــذه القياسات.

ومن هنا فيمكن رسم حدود اسـتفادة علم التجويد من علم الصـوتيات والعلاقة بين العلمين ضمن النقاط الآتية:

1. الاعتمـاد على قياسـات هـذه الأجهـزة في إعطـاء أوصـاف دقيقة للحروف من حيث:

1. تحديد المخــرج الـدقيق للحــرف تحديـداً فيزيائيـاً مشخصا بالصـوت والصورة، مجليا كل ما يجري من عمليات تفصـيلية للنطـق، مما يعطي الباحث درجة كبيرة من الثقة العلمية في تحديد هـذا المخــرج، ومن ثم تحديد الألقـاب لهـذه الحـروف، والـتي يعتمد تحديد ألقابها على تحديد مخارجها.
2. تحديد وبيان صفات الحروف وكيفياتها، وتشخيص الفروق الدقيقة بين الحــروف، وتحديد الســمات الممـيزة لكل حـرف بتحديد تـردده ووزنه وزمن نطقه وطاقته، واختلاف صفاته وأحواله مفرداً ومركبا(16).

1 ((الحمـد، غـانم قـدوري، الدراسـات الصـوتية عند علمـاء التجويد ، وزارة الأوقـاف العراقية، ط1، 1986، بغداد، ص13.

2 ((ابن الجــزري، محمد بن محمـــد، غاية النهاية في طبقـــات القـــراء، تحقيـــق: برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، دط، 1352هـ - 1933م، ج 2 ص321 .

3 ((ينظر: الحمد، غانم، الدراسات الصوتية، ص16.

4 ((ينظــر: القيســي، مكي بن أبي طــالب، الرعاية لتجويد القــراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيـق:أحمد حسن فرحـات، ،دار عمـار، عمـان- الأردن،ط3، 1417هــ - 1996م، ص52 .

5 ((ينظر: الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية، ص17، 18.

6 ((ينظر: الفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، دار القلم، بيروت، ط2، 1980م، ص 27 وما بعدها .

7 ((الحمد،غانم، الدراسات الصوتية، ص20.

8 ()المرعشـي، محمـد، تـرتيب العلـوم، مركز إحيـاء الـتراث العلمي/ جامعة بغـداد، 1404هـ - 1984م ، ص64، 65 .

9 ((الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية، ص22.

10 ((الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية،ص50

11 ((ينظـر: الخـولي، محمـد علي، معجم علم اللغـة النظـري، مكتبـة لبنـان، ط1، 1982، ص23، 215 بتصرف وزيادة.

12 ((ينظر: المرجع السابق ، ص215.

13 ((ينظر: المرجع السابق ، ص، 3،215.

14 ((ينظر: المرجع السابق ، ص 26.

15 ((ينظر: المرجع السابق ، ص 182.

2 . لا مـــانع من تعـــديل الحكم على بعض القضـــايا النظرية وإعـــادة تكييف وصفها إذا ثبت بالقطع صحة هـذه الأوصـاف في الدراسـات الصـوتية الحديثة.

ومثـال ذلـك: أن الدراسـات الصـوتية الحديثة تـرى أن حـروف الحلق تنحصر في حرفي العين والحاء، فـإذا ثبت ذلك بالتحليل الفيزيـائي والطيفي فلا مانع من وصف بقية حروف الحلق بأوصـاف أخـرى، وتحديد مخـرج جديد لها نظريـاً. ولكن ما لا يقبل هو أن نغـير حكم إظهـار الهمـزة والهـاء والغين والخاء إذا جاءت بعد النون السـاكنة أو التنـوين إلى حكم آخر كالإخفـاء مثلا، ذلك لأن أحكام التجويد أحكام نقلية أخذت بالمشافهة عن الذي لا ينطق عن الهـــوى، وليست أحكاما اجتهادية تخضع لمنطق البحث والتجـــريب ومن ثم التغيير والتبديل، فتغيير وصفها شيء، وتغيير حكمها في التلاوة والأداء شيء آخر.

ولا مانع أيضا من وضع تعريفات جديدة لبعض صفات الحروف وألقابها تكون أدق من تعريفات السابقين، وذلك بعد الوقوف بالفحص المخبري على حقيقة وصف هذه الحروف، وتـبين أن تعريفـات علمـاء التجويد لم تكن بتلك الدقـة، كتغيـير تعريف الصـفير مثلا أو القلقلة أو التفخيم أو الإخفـاء أو اللين لتكون عبارة التعريف أكثر دقة[17].

3. وربما تكــون الفائــدة العملية الأكــثر أهمية في علم التجويــد، هي الاســتفادة من التقنية الحديثة من خلال أجهــزة النطق والســمع وأجهــزة الحاسـوب، في تطـوير وسـائل وأسـاليب تـدريس أحكـام التلاوة والتجويـد، بحيث تكــون أكــثر فاعلية وقــدرة على إيصــال الأحكــام النظرية إلى فكر المتعلم وتصـوره، كما قد تكـون الاسـتعانة بـالأجهزة المناسـبة والمطـوَّرة خصيصا لتــدريس التلاوة والتجويد أكــثر إمتاعــاً وتشــويقاً وجــذبا للمتعلم، وبالتـــالي تزيد من إقبـــال المتعلمين على هـــذا العلم وتجعله أكـــثر جاذبية وحيوية.

---

16 ((?ينظر: لبيان الكيفية الفيزيائية للنطق وما يجري فيها من عمليات كتاب "التجويد القرآني، دراسة صوتية فيزيائية"، د. محمد صالح الضالع، دار غـريب، القـاهرة، دط، 2002م، ص25-31.

17 ((?ينظـر: كتـاب (دراسة في بعض أحكـام التجويد في ضـوء الدراسـات الصـوتية الحديثة) د. داوود عبده،ص1

المطلب الثاني: ضوابط وملحوظـات حـول الإفـادة من علم الصوتيات الحديث في علم التجويد:

1. إن من الملاحظ على بعض من كتب في علم التجويد ووازنه بعلم الأصــوات الحــديث، أنه يخضع علم التجويد لهــذا العلم بمصــطلحاته الغربية، وبطريقة دراستهم للأصوات، دون مراعـاة لطبيعة علم التجويد والضــوابط والأسس الثابتــة الــتي تحكمــه، وتــراه يتجــرأ على تخطئة علمائنا، بل قد ترى من بعضـهم اعـتزازا بما أوتـوا من العلم، فيتبجح به في رده على أسلافنا، وذلك ليس من أسـلوب طلبة العلم الـذين دأبهم الأدب مع أســلافهم، واحــترام علمهم، ولو خــالفوهم في مســألة من المسائل.
2. إن مما لا يخفى أن العلماء الأقـدمين لم يكن عنـدهم من أدوات العصر الحديث ما يحددون به المخرج والصفة والمقدار الزمني لأداء الحــروف المتحركة والساكنة والمشددة وغير ذلك. ومع هذا، فقد أظهر الباحثون المعاصــرون الــذين أجــروا دراســات على علم التجويد من خلال علم الأصــوات الحــديث، دقة وعمق ما توصل إليه علماؤنا في معرفة هــذه القضايا.

يقــول الــدكتور صــبحي الصــالح: " إن مما نــود أن نؤكــده أن دراسة علمائنا للأصــوات العربية لا يضــاهيها في العمق والدقة والاستقصــاء جميع الدراسات التي يقوم بها اللغويون الآن فيما يسمونه " علم الأصوات اللغوية " ، وما نريد أن نثبته هو أن حروفنا العربية محفوظة الأصـــــــول، معروفة الأنساب .

لسنا نزعم طبعاً أن الدراسات الحديثة لم تعد بالفائـدة على الأبحـاث اللغوية، فما يجـرؤ على مثل هـذا القـول بـاحث منصـف، ومن ذا الـذي ينكر على علماء الأصـوات دقتهم في ملاحظة المسـموعات، وتسـجيلها بـالأجهزة والآلات ؟ ولم يكن شيء من هذا متيسرا لعلمائنا المتقدمين لـدى دراسـتهم للأصـوات، وكيفية خروجها من أعضـاء النطـق، وما يعتريها من التغيـير، وما يصيبها من الانحـراف، وجـاؤوا مع ذلك بوصف دقيق لجهـاز النطق ووظـائف أعضــائه عنــدما أرادوا أن يرتلــوا القــرآن تــرتيلا، فكــانوا أول الــروّاد لعلم

الأصـوات اللغويـة، وعلى كثـير من ملاحظـاتهم بـنيت المبـاحث الحديثة في مخارج الحروف وصفاتها"[18].

ولبيـــان دقة علمائنا الســـابقين، وتمـــيز ما توصـــلت إليه دراســـاتهم الصوتية، إليك هذا المبحث التطبيقي بين القدماء والمحدثين، حول حرف هو من أدق حروف العربية مخرجاً وصفةً؛ هو حرف الهمزة.

تقول الدكتورة مي الجبوري: [19] " والهمزة عند القدماء حرف مجهور والمجهور عند سيبويه: " حرف أشبع الاعتمـاد في موضـعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصـوت"[20]. فـإذا كـان هـذا تعريف الحـــرف المجهـــور فهو منطبق على الهمـــزة فـــالهمزة تحـــدث من انطبـــاق الوترين الصوتيين في الحنجرة انطباقاً كـاملا، وهو ما يقابل إشـباع الاعتمـاد في موضـعه، إذ الاعتمـاد هو الاسـتناد والاتكـاء[21]. وإشـباعه في موضـعه هو ثبوت أعضاء الجهاز الصـوتي بوضـعها الخـاص بإصـدار الصـوت في المنطقة الخاصة بنطقه، وفي حالة الهمـزة هو اسـتناد الـوترين الصـوتيين الغشـائيين في الحنجـــرة بعضـــهما على بعض، وانطباقهمـــا، ومنع النفس من الجريـــان خلالهمـا، فلا يسـمح للهـواء بـالمرور فيحتبس داخل الحنجـرة حـتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصـوت عنـدما يسـمح له بـالخروج على صـورة انفجـار هو صوت الهمزة الذي نسمعه نتيجة تباعد الوترين الصوتيين بعضـــهما عن بعض .

فبحسب التعريف القـــديم للجهر يصح عد الهمـــزة حرفـــاً مجهـــوراً، والـــدليل على ذلك وســـيلة الاختبـــار الـــتي وضـــعها ســـيبويه لمعرفة الجهر والهمس في الأصوات، فـالمهموس كما قـال: "حـرف أضـعف الاعتمـاد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فردَّدْت الحرف

18((?)الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط12، 1994، ص 275 - 276.

19((?)الجبوري، مي فاضل، القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القـديم والحـديث، دار الشؤون الثقافية العامة -وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 2000، دط، ص20 – 22 .

20(?) سيبويه، عمرو بن عثمان،الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1983، 4ج، ص434 .

21(?)ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ج2، ص664 . والجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت،ط4، 1987، ج2، ص512 .

مع جـري النفس، ولو أردت ذلك في المجهـورة لم تقـدر عليـه، فـإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صـوتك إن شـئت بحـروف اللين والمد أو بما فيها منها وإن شئت أخفيت"[22]. فنحن لا نستطيع ترديد الهمزة مع جـري النفس، وهي همزة واحدة في بداية نطق الصوت، نسـتطيع أن نجـري بعـدها حـرف مد أو لين، ولا يمكن ترديــدها مع جــري النفس لأنها تتكــون أصــلاً من سد مجرى النفس ثم انفتاحه فجأة في الحنجرة.

أما عند المحــدثين فــالهمزة مهموسة عند هفــنر[23]؛ لأن صــفة الجهر عنده هي ذبذبة الوترين الصوتيين، وهذا لا يحدث عند إصدار الجهاز الصــوتي للهمزة لانطباق الوترين انطباقاً تاماً ثم انفتاحهما بدون ذبذبــة. وعند دانيــال جونز[24]. الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأن الصوت المجهــور لديه هو الذي ينفتح له الوتران الصوتيان مع تذبـذبهما، والمهمـوس هو الـذي ينفتح له الـوتران الصـوتيان بـدون تذبـذب، وفي الهمـزة يحتبس الهـواء ثم يخرج وهو ما لا يحدث في بقية الأصوات؛ (أي الاحتباس).

فلا اختلاف إذن في صــــفة الهمــــزة بين القــــدماء والمحــــدثين، إنما الاختلاف في تعريف الصــفة عند كل من الفــريقين ؛ أقصد تعريف المجهــور والمهموس كما وضحت.

والهمزة عند القدماء والمحدثين صوت شديد وعرفه سـيبويه " بالـذي يمنع الصوت أن يجري فيـه"[25]. وهو الصـوت الانفجـاري عند المحـدثين، أو الذي نُحس معه بانحباس مؤقت لدى المخرج بسـبب التقـاء عضـوين التقـاء محكما، فإذا انفصلا فجأة سمع صوت انفجاري هو الذي نسـميه بالشـديد[26]. وهذا حال صوت الهمزة الذي ينتج من انطباق الوترين الصــوتيين الغشـائيين والغضروفين الهرميين في الحنجرة انطباقاً كـاملاً وشـديداً، بحيث لا يسـمح للهواء بالمرور مطلقـاً، فيحتبس داخل الحنجـرة ثم يسـمح له بـالخروج على صورة انفجار[27].

---

[22]() الكتاب ج4، ص434.

[23]() General Phonetics 125، نقلاً عن: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 24.

[24]() An outline of English phonetics 138، نقلاً عن القراءات القرآنية، ص 24.

[25]() الكتاب 4ج، ص434.

[26]() أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط3، 1961، ص 94.

[27]() القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، ص 24.

وفيما يخص مخرج الهمـزة، كـرر القـدماء أنها أبعد الحـروف مخرجـاً، ويتفق المحــدثون معهم على هــذا، وقد تــابع القــدماء ســيبويه في أنها من أقصى الحلق، وقد أثبت العلم الحديث ذلك وميز المحدثون منطقة الحنجـرة عن منطقة الحلق.

وقد اهتم علماء القراءات بـالهمزة اهتمامـاً كبـيراً، فـأفردوا لها أبوابـاً في كتبهم، وحثــوا على تعلمها فإنها " إنما تعلم بالشــكل والمشــافهة، ولبعد مخــرج الهمــزة لا يكــون قارئــاً لــديهم من لا يستشـعر بيانها في قراءتــه... فينبغي للقارئ إذا همز الحرف أن يأتي بالهمزة سلسة في النطق سهلة في الـذوق من غـير لكـزولا ابتهـار لها ولا خـروج بها عن حـدها سـاكنة كـانت أو متحركة"[28].

3. إن علم التجويد (علم توقيفي) أساسه ومرجعه التواتر والمشــافهة إلى رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فـإن علمـاء التجويد يعتقـدون أن كيفيات النطق لألفاظ القرآن الكريم كلمات وحروفا مفردة ومركبة إنما هي وحي من الله تعالى، فكما أن ألفاظ القرآن الحاملة للمعاني وحي من اللــه، لا سبيل مطلقاً إلى التصرف فيها، فكذلك كيفية أداء هذه الألفاظ من إظهار وإدغام وغنة ومد وتفخيم وترقيق وغيرهــا، كل ذلك نثق بأنه أخذ عن رســول الله **صــلى الله عليه وســلم** ولا مجــال للاجتهــاد فيــه؛ ولــذا فكثــير من الظواهر الصوتية في القراءات المتواترة، لا ســبيل إلى تعليلها تعليلاً عقليــا، ومن هنا فقد علمنا مشــايخنا القــرّاء أن التعليل الأول - وليس الأخــير- لأية ظاهرة صوتية في القرآن هو أن نقول: (هكذا وردت القراءة)، ومثال ذلك:

قوله تعــــالى: **يس والقــــرآن ، ن والقلم وما يسطرون ،** فقد أدغم النــون في الـواو بعـدها في الآيـتين جماعة من القـراء وأظهرها غـيرهم[29]. ولم يصـدر فعل هـؤلاء القـراء وأولئك إدغاما أو

---

[28] الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مكتبة الخلود، بغداد، دط، 1988، ص 120

[29] سكت أبو جعفر علي (يـا) و (سـين) وعلى (نـون) سـكتة لطيفة من غـير تنفس، ولا يخفى أنه يلـزم من السـكت على نـون يسن اظهارهـا. وقـرأ ورش والشـامي وشـعبة والكسـائي ويعقـوب وخلف في اختيـاره بإدغـام النـون في الـواو في الغنة والبــاقون بإظهارها وقــرأ كل هــؤلاء القــراء (نــون والقلم) بنفس قــراءتهم (يس والقرآن) إلا ورشا فعنه وجهان الإدغام والإظهار (ينظر: القاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1، 1401هـ - 1981م ص264، 325).

إظهارا تبعا لتعليل صوتي، ولكن تبعا للتلقي والرواية والمشافهة بغض النظر عن التعليل الصوتي لكل ظاهرة.

ومثل ذلك يمكن أن يقال في ظاهرة إظهار الميم الساكنة قبل الفاء والواو وإخفائها قبل الباء مع أنها كلها حروف شفوية، ويسهل فيها الإدغام لقرب المخارج، فإدغام الميم من الناحية الصوتية في الفاء أو الواو لقرب المخرج سائغ جدا، ولكن الرواية وردت بإظهار الميم عند هذين الحرفين, فأخذنا بالرواية وأظهرنا الميم، ولا يجوز بحال أن نحكِّم الناحية الصوتية في التلاوة فنجتهد ونقول بالإدغام، ذلك لأن عمدتنا الرواية في هذا الأمر ليس غير؛ لذا وجب التنبه لإظهار الميم قبل الفاء والواو أكثر من غيرها من الحروف مخافة أن يزل اللسان بإدغامها فيقول في (هم فيها) (هفِّيها)، فوصفوا الإظهار الشفوي هنا بأنه (أشد إظهاراً).

ومن الأمثلة أيضا:

أن جمهور القراء يظهرون النون الساكنة والتنوين عند جميع حروف الحلق باستثناء أبي جعفر فإنه يخفي النون الساكنة والتنوين عند الغين والخاء.واستثنى بعض أهل الأداء عن أبي جعفر ﴿ **فسينغضون**﴾ الإسراء/51 و (وإن يكن غنيا) النساء/135 و﴿**المنخنقة**﴾ المائدة/3 فأظهروا النون عند هذه الكلمات الثلاث [30].

فتفَرُّدُ أبي جعفر في إخفاء النون الساكنة والتنوين قبل حرفي (الغين والخاء)، من بين القراء يدل على أن الرواية هي الأصل الذي أقام عليه أهل الأداء قراءتهم، وليس لاعتبار صوتي آخر. ويزيد الأمر تقريرا وجلاء أن أبا جعفر نفسه اشتهر عنه إظهار النون الساكنة في الكلمات الثلاث السابقة دون غيرها مخالفا بذلك أصل قراءته؛ وموافقا جمهور القرّاء في أصل قراءتهم ، فلو كان الأمر راجعا لتعليل صوتي فقط لاطردت القاعدة عنه في إخفاء النون الساكنة عند هذين الحرفين في جميع المواضع، وهكذا يمكن تعليل غيرها من الظواهر الصوتية بالإحالة على التوقيف.

---

30 ((? ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد ،النشر في القراءات العشر، قدم له علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1998م، ج2ص18 .

ومن هنـا، وبنـاءً على ذلك فـإن علم الصـوتيات الحـديث، مهما كـانت النتائج التي يتوصل إليها فإنها غـير مخولة ولا مؤهلة للتـدخل في تغيـير حكم من أحكــام التجويد أو التعــديل عليه بما يخرجه عن صــورته الــتي تم نقله عليها، أو تغيير نطق حرف بحرف.

ومثال ذلك: حرف الضاد، إذ تجمع الدراسـات الصـوتية الحديثة على أن الضاد التي ننطقها اليوم ليست هي الضاد الفصيحة، وأن الضاد الفصـيحة مفقودة وأننا بحاجة إلى دراسـات أكـثر عمقا للبحث عنهـا، ويسـتدلون بأدلة عديـدة منها الاحتكـام إلى أقـوال علمـاء التجويد القـدامى في وصف الضـاد متوائماً مع ما توصلت إليه الدراسات الصـوتية الحديثة من وصف وتشـخيص للضـاد المنطوقة اليـوم[31]. فهم يقولـون: " إن العلمـاء الأقـدمين مُجْمِعـون على أن نطق الضاد عسير . وعسر نطقها لا يمكن أن يتصور بالنسبة للعرب الأوائل، عرب الجاهلية وصدر الإسـلام وهي لغتهم الأم، ولكنها عسـيرة على من فقدت لهجتهم العربية فيما بعد صـوت الضـاد الفصـيحة. وصـوت الضـاد المسـتعملة في البلاد العربية اليــوم على أنها عربية فصـيحة ونسـمعها عند قــراء القــرآن الــذين يحتج بهم يختلف وصــفها الصــوتي عن وصف علمــاء التجويد للضـاد الفصـيحة من حيث المخــرج والصـفة. أما من حيث المخــرج فـإن الضـاد الـتي يشـيع نطقها بين عـرب اليـوم ويعتقد أنها فصـيحة أو أنها أقرب ما تكون إلى الفصيحة هي عبـارة عن دال مطبقـة. فنحن نخرجها من طرف اللسان بوضعه فوق اللثة كما نفعل في حالة الذال مع ارتفاع اللسان كله إلى أعلى ملتصقا بالطبق (سقف الحنك) ليعطينا صفة الإطباق. والضاد القرآنية الــتي وصــفها لنا علمــاء التجويد مخرجها حافة اللســان اليمــنى أو اليسرى أو كلا الحافتين.

أما من حيث الصفة، فـإن الضـاد الـتي تنطق اليـوم على أنها فصـيحة تتصف بالشــدة بمعــنى أن الهــواء ينحبس انحباسا تاما وراء المخــرج عند النطق بها كما هو الشأن في الدال.

أما الضاد الفصيحة فقد وصفها علماء التجويد بأنها حـرف رخو بمعـنى أن الهواء يجري أثناء النطق بها في شكل مستمر (فإذا سمعت صوتها تجده

---

[31] ((?ينظر: تفصـيل ذلك في كتـاب (أصـوات القـرآن كيف نتعلمها ونعلمهـا)، ليوسف الخليفة أبو بكر، مكتبة الفكر الإسلامي/ الخرطوم، ط1، 1973م. ص69-70.

يمتد عند خروجها من أول حافة اللسان إلى آخرها حـتى يتصل بمخـرج اللام لأنها رخوة)[32] ؛ ولذا سميت مستطيلة.والاستطالة هي امتداد الحـرف، وهي خاصة بالضـاد.وقـالوا أيضا : سـمي مسـتطيلا لأنه اسـتطال عن الفم عند النطق به حتى اللام .

على أن ابن الجــزري قد قــرر أن الضــاد الفصــيحة قل من يخرجها صحيحة حتى في عصره ذاك، وحذر من إخراج حرف الضـاد ممزوجا بالظـاء أو الدال، ومن جعله لاما مفخمـة، ومن إشـمامه الـزاي. وقـال : وكل ذلك لا يجوز.

وبناءً على ما سبق فمن العسير إعطاء صورة حقيقية للضاد الفصيحة أكثر مما قدمه لنا الأئمة. وليس المشكل وصف الضاد نظريا، وإنما المشكل هو الوصول إلى حقيقة نطقه من حيث إخراجه عمليا . وإذا تضـافرت جهـود فريق من علمــاء الأصــوات والقــراءات لبحث هــذا الموضــوع فربما كــان الوصـول إلى الضـاد الفصـيحة محتملا؛ على أن الأمر يعـوزه وجـود النمـوذج الـذي يوثق به على أنه هو الأصـلي. والضـاد الحديثة الـتي ننطقها اليـوم هي الطاء الفصيحة حسب وصف علماء التجويد"[33].

وهي أدلة يبدو في ظاهرها كثير من القوة والوجاهة، ولكنها تصطدم بحقيقة النقل المتـواتر للفظ القـرآني، ومع ذلك حـتى لو ثبت بطريق القطع أن ضاد اليوم ليست هي العربية الفصيحة التي كانت مسـتعملة عند العـرب عند نـزول القـرآن الكـريم، فليس من السـهولة تحديد تلك الضـاد والرجـوع إليها مع عـدم وجـود نطق شـفاهي مطبق لها اليـوم نقطع بأنه هـو، هـذا مع إجماع قراء اليوم على نطق الضاد القديمة كما ننطقها اليـوم وأنهم أخـذوها مشافهة عن مشايخهم.

ولو اسـتطعنا الوصـول إلى تلك الضـاد الضـائعة- كما يقولـون- وأردنا الرجوع إليها، فهذا لا سبيل إليه إلا باجتماع علماء الأمة، وإجماعهم على ترك هذه والعودة لتلك إجماعا يقطع العذر، وإلزام الأمة بذلك. وهيهات هيهات.

---

32 ((? المرجع السابق، نفس الصفحة، وينظر: الفيـومي، عبد الواحد إبـراهيم، المعلم المفيد في علم التجويد ، مطبعة مصر الحديثة، المنصورة، 1947م . ، ج2، ص52.

33 ((? أبو بكر، يوسف، أصوات القرآن .. ، ص 69- 70 .

4. إن الباحث الذي يسلك هـذا الطريق المعاصر عليه أن يتـوخى الحـذر، وأن لا يستعجل في نقض أمر من الأمور التي نص عليها علمـاء التجويد أو اتفقوا عليها، خصوصا إذا لم يكن للاختلاف معهم ثمرة تذكر.

ومن ذلك مثلا، اعـــتراض بعض الكـــاتبين على وصف –بعض- علمـــاء التجويد للغنة وتعريفهم لها، بقوله:

"من المـألوف أن يكتب كل كـاتب في حقل اختصاصـه. وقد نجد بين الحين والآخر بعض الـذين يكتبـون في غـير اختصاصـهم. أما أن يكـون جميع المـؤلفين في حقل ما من غـير المختصـين فـأمر يكـاد يقتصر على الكتـاب المعاصـرين في حقل تجويد القـرآن الكـريم. فليس من بين مـؤلفي الكتب التي اطلعت عليها في هذا الحقل من هو مختص في الدراسات الصـوتية أو في علم اللغة بصورة عامة.

وإذا كنا نجد للقدماء عذرا إذا أخطأوا، فقد اجتهدوا في زمن لم يتقدم فيه العلم كثيرا، وكان من الطـبيعي أن يخطئـوا أحيانـاً (في وصف الظـواهر اللغوية لا في تطبيقها)، فإن من الصعب أن نجد للمحدثين عذرا في وصفهم الظـواهر اللغوية وصـفا غـير علمي في عصر تتـوافر فيه أحـدث المراجع اللغوية.

وفيما يلي أمثلة من العبارات التي لا تمت إلى الدراسة الصوتية بصلة مما يتكرر في بعض كتب المحدثين:

الغنة: (صوت... شبيه بصوت الغزالة إذا ضاع ولدها)أو (يشـبه صـوت الغزالة حين ضياع ولدها) و "صوت لذيذ..."[34].

قلت: من المغالطـات في هـذا النص، أنه يـنزع صـفة الاختصـاص عن علمـاء التجويد في هـذا العصر لأنهم غـير مختصـين بالدراسـات الصـوتية الحديثـــة، ثم إنه يريد أن يجعل البحث في التجويد حكـــراً على أصـــحاب الدراسات الصوتية الحديثة، وقد علمنا الفرق بين طبيعة العلمين من قبل.

ثم إنه اختـــار تعـــريفين للغنة هما – في الحقيقة - ليسا تعـــريفين، ولكنهما وصـــفان للغنـــة،واعـــترض عليهمـــا. وكـــانت الأمانة العلمية والدقة وتســـجيل الفضل لأهله تقضي بـــالتفريق بين ما ذكـــره علماؤنا للظـــواهر الصـــوتية على ســـبيل الأوصـــاف والإيضـــاحات، وبين ما ذكـــروه على ســـبيل

34 ((?دراسة في بعض أحكام التجويد في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص1.

التعريفـات والحـدود، وتقضي كـذلك بـذكر التعريف الـدقيق جـدا للغنة عند علماء التجويد، وهو الـذي يشـكل أساسـاً دقيقا في تعريف الغنة لم تسـتطع الدراسات الصوتية إلى وقتنا هذا أن تتجـاوزه، وهو قـولهم: (**الغنة: صـوت أغن مـركب في جسم النـون والميم**)[35]. وفي إطــار توضــيح هــذا التعريف يقول أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمـذاني العطـار(ت569هــ): " وإنما سـمي هـذا الصـوت غنة لجريه مع النـون والميم بعد لـزوم اللســان موضـعهما، يـدلك على ذلك أنك لو أمسـكت بأنفك عند النطق بهما لانحصر الصوت فيها كالطنين، لأن الخيشوم مـركب فـوق الغـار الأعلى، وإليه سـمو هذا الصوت"[36].

وقد بينوا كذلك أن الغنة صوت ملازم للنون ولو تنوينـاً[37]، لأن العـبرة باللفـظ، وأنها ترافق الميم والنـون في حالة السـكون والحركـة، والإظهـار والإدغام والإخفاء، وأنها صفة لا حرف، والصفة ترافق موصـوفها، وأن محلها النــون والميم مطلقا دون ما ســواهما[38]، وكل ذلك البحث إنما هو من مستلزمات تعريف الغنة السابق الذي اصطلحوا عليه، ولم يستطع علم الصوتيات الحديث أن يعـدّل أو يزيد على هـذه الأوصـاف شـيئا. بل إن علمـاء التجويد تجـاوزوا في دقة البحث وعمقه إلى ما هو أبعد من ذلك بمراحل فبحثوا أوصافها وقفا ووصلا، وبحثوا في المقـادير الدقيقة للغنة بحسب حالاتهـا، وبحثـوا في مـراتب الغنة بحسب تركيبها وبنـاء حروفها في الكلام، ، فقســموا الغنة إلى غنة كاملة وأخــرى ناقصــة، وفصّــلوا الحالات المتعددة لكل قسم من هذه الأقسام، وبحثوا كذلك في صفاتها ومتى تكون مفخمة ومتى تكون مرققة. قال العلاّمة عثمان مراد:

وغنــــــةٌ صــــــوتٌ لذيــــــذٌ رُكّبا   في النّــون والميم على مراتبا

[35] ((؟ينظـر: المرصـفي، عبد الفتـاح،هداية القـاري إلى تجويد كلام البـاري، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة،ط1، 2001م، ج 1 ص177 . والحفيـان، أحمد محمـود، أشهر المصطلحات في فنّ الأداء وعلم القراءات، دار الكتب العلمية، بـيروت، ط1، 1422هـ - 2001م، ص168 .

[36] ((؟ العطّار الهمـذاني، الحسن بن أحمـد، التمهيد في معرفة التجويـد، تحقيـق: غـانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمّان- الأردن، ط1، 1420هـ - 2000م، ص282 .

[37] ((؟ ينظر: شكري، أحمد وزملاؤه، المنير في أحكـام التجويـد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط 10، 1427هـ - 2006م ، ص 49 .

[38] ((؟ مصطفى، محمـود أحمد مـروح، زينة الأداء شـرح (حلية الأوليـاء- للشـيخ سـعيد العنبتاوي)، دار الفرقان، عمّان – الأردن، ط1، 1420هـ - 1999م، ص 85 .

مًشَـــــــــــدَّدان ثُمَّ مُدْغَــــــــــمان ومُخْـفيان ثمَّ مُظْـــــــــــهَران
كاملـــــــــةٌ لـــــــــدى الثلاثـــــــةِ الأُوَلْ ناقِصَةٌ في الرابعِ الـذي فَضَـلْ
وفَخِّمِ الغُنَّةَ إنْ تـلاهـا حُــروفُ الاسْـتِعْلاءِ لا سِــواها

وتفصيل ذلك وبيانه موضح في كتب التجويد[39]

وأما اعتراض الباحث على وصف بعض العلماء للغنّة بأنها صوت يشبه صـوت الغزالـة، فنحتكم إلى ما تعرفه العـرب من لسـانها من علامة وصف الغنة - ولا أقـول تعريف الغنة – بصـوت الغزالة . يقـول ابن منظـور بعد أن ذكر تعريف الغنّة: " .. وظبي أغنُّ: يخرج صوته من خيشومه؛ قال:

فقَـــــــــــــــــدْ أرَنِّي ولقد أرَنِّي غــــرّاً كـــأرْآم الصـــريم الغُنِّ

.. والأغن من الغزلان وغيرها؛ الذي في صوته غنّة"[40]

ولأن أشـبه الأصـوات بصـوت الغنّة صـوت الظـبي، نجد كثـيراً من المعاجم لا تتحدث عن معنى " صوت الغنة " إلاّ وتذكر شبهه بصوت الغزال، وكأنه تجسيد مادي لـذلك، فهـذا الزمخشـري _ رحمه الله _ لم يُعَـرِّف الغنّة إلاّ بصوت الظبي، فقد قال في " أساس البلاغـة" عند مـادة (غنن) : " غنن: الظبيُ أغنُّ : لأن في ترنينه غنة؛ وهي تـرخيمٌ في صـوته من نحو الخياشـيم بعَـوْنٍ من نَفَسِ الأنـف، والنـون أشد الحـروف غنّـة.."[41]. ويقـول الهمـذاني (العطار): " والظباء كلها غَنٌّ لما في نزيبها من الغنة " [42].

نلحظ بعد هذا العرض، أن هـذا بحث صـوتي خـالص، فقد كـان علمـاء التجويد يعرّفـون الظـاهرة الصـوتية تعريفـاً دقيقـاً، ثم يصـفونها بأشـباهها،

---

39 ((? ينظـر: مـراد، عثمـان سـليمان، الـوافي في شـرح السلسـبيل الشـافي، شـرح وتحقيق: توفيق اسعد حمارشة ومحمد خالد منصور، دار عمّـار، عمّـان – الأردن، ط 1، 1424هـ - 2002م ، ص19، 20 . وقمحاوي، محمد الصادق، البرهان في تجويد القرآن، المكتبة الثقافيـة، بـيروت – لبنـان، دط، دت، ص 9، 10 . والقضـاة، محمد عصام، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس، عمّـان – الأردن، ط1، 1415هــ - 1995م، ص30، 31، 47، 48 . والمنير في أحكام التجويد، ص138، 139 .

40 ((? ابن منظـور، جمـال الـدين بن مكـرم، لسـان العـرب، دار صـادر، بـيروت، ط3، 1414هـ - 1994م، ج13، ص315، مادة (غنن) .

ويقربونها للسمع والحس بـأقرب أماراتهـا، فكيف يقـول هـذا البـاحث إن ما ذكره علماء التجويد لا يمت إلى الدراسات الصـوتية بصـلة؟ هـذا لعمر الحق إجحافٌ وافتئاتٌ على الحقيقة .

ويقول باحث آخر كتب رسالة ماجستير بعنوان (فونولوجيا[43] القـرآن: دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم الأصوات الحديث): [44]

"وقد توصلت إلى عدة نتائج قيمة منها على سـبيل المثـال أن المـدى الزمني للغنة لا يقاس بحركتين فقط كما يقـول أصـحاب علم التجويـد، وإنما يزيد أحيانا كثـيرة عن هـذه المـدة، كما أنه متوقف على سـرعة أداء القـارئ التي يسير عليها، وأن هنـاك فروقا فردية لها عامل كبـير في اختلاف المـدى الزمني للغنة"[45]

وفي هذا النص أكثر من مغالطة، فهو أولا لم يحدد لنا مفهــوم الحركة ولا مقدارها حـتى يحـاكم علمـاء التجويد على أسـاس ذلـك، ثم يعـترض ثانيا على قياس الغنة بحركتين، ثم يربطها بسرعة أداء القارئ. وهـذا كله تـداخل غير منضبط، ولا شك أن ضبط ذلك كله يعود لتحديد مفهوم الحركة.

وأقــول: إن مما يســجل لعلمائنا دقة أداء وعمق تحليل هو تعــريفهم للحركة واختيارهم هـذا المصـطلح (تحديـدا) لقيـاس زمن الأصـوات، فهم لم يختــاروا زمنا معينا ثابتا (كالثانيــة) مثلا أو غيرها من قياســات الــزمن، ولكن اختاروا مصطلح الحركة، ويقصدون بـه: **(الزمن الـذي يسـتغرقه نطق حركة من حركـات الإعـراب)** أي: نطق فتحة أو ضـمة أو كسـرة، وتبعا

---

41 ((? الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، ص326. وينظـــر: المعجم الوســـيط (مجمع اللغة العربية المصـــري " إبراهيم مدكور وزملاؤه " ، دار عمران،دط، دت، ج2، ص689 .

42 ((? التمهيـد، ص282 . والـنزيب : صـوت الظـبي عند السـفاد، يقـال للـتيس نـبيب، وللظبي نـزيب. قاله الزمخشـري (أسـاس البلاغـة، ص449) . وقـال ابن منظـور: النزيب: صوت تيس الظباء عند السفاد.. ونَزَبَ الظبي يَنْزِبُ نَزْبـاً ونَزيبـاً ونُزابـاً إذا صوَّتَ .. (لسان العرب، ج1، ص 755) .

43 ((? الفونولوجيا : phonemics علم الفونيمات . علم الأصوات الوظيفي: هو فرع من علم اللغة يدرس الفروق الوظيفية بين الأصوات، أي يدرس فونيمــات اللغة بعد كشفها ويحدد الفـروق بين الأصـوات وخصـائص هـذه الأصـوات . (ينظـر: الخـولي، معجم علم اللغة النظري، ص210 .

44 ((? الرســـالة للبـــاحث أحمد راغب أحمـــد، نوقشت في كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر، والمعلومات قيد المناقشة أخـذت من موقع (شـبكة التفسـير، ينظر الرابط: www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=8497، حيث نشر الموقع تعريفا موجزا بالرسالة) .

45 ((? المرجع السابق .

لذلك فقد تختلف الحركة من حيث طـول زمنها أو قصـره تبعا لمرتبة التلاوة التي يتلو بها القـارئ فـإذا قـرأ بمرتبة التحقيق كـان زمن الحركة أطـول من زمنها فيما لو قرأ بمرتبة الحدر، لأن القارئ حين يقرأ بمرتبة التحقيق يكــون متمهلا في نطق الحروف والحركات أشد التمهل، فيستغرق نطق الحركة أو الحرف زمناً أطول بكثير من زمن نطق الحركات والحروف حين يقرأ حدراً، وبالتالي ينبغي أن تتناسب الحركات طولاً أو قصراً مع طبيعة القـراءة الـتي يقرؤها القارئ، وهكذا يكون زمن الحركة نسبياً.

فهل نجد أدق من هــذا التحديد الاصــطلاحي الــذي وضــعه علماؤنا الســابقون لـزمن الغنـة؟ ودقة هـذا التحديد تـأتي من كونه منتزعا من نفس مادة النطق وليس من مقياس زمني خارج عنها.

وأظن أن هذا الباحث المعترض لم يتبين له مـراد العلمـاء من تحديد هذا المصطلح (الحركة) وإلا لما اعـترض على تحديد قيـاس الغنة بحركـتين، ولما قــال إنها تزيد أحيانــاً كثـيرة عن هــذا، وأن زمنها يتوقف على ســرعة القـارئ وذلك أثنـاء رده على علمـاء التجويـد، لأن هـذا هو ما قـرروه أصـلاً، فبداية كلامه تتعارض مع نهايته، فكيف يزيد زمن الغنة أحياناً عن حركتين مع أن الحركة يطـول زمنها وينقص اعتمــاداً على ســرعة القــارئ ؟ فهو – كما قلت – زمن نسبي لا يقدر بزمن ثابت حتى يقال: إن زمن الغنة يزيد وينقص عنه.

وهكذا فإنه يتبين لنا ضـرورة التـأني في الحكم على منجـزات علمائنا وعــدم التســرع في إطلاق المخالفة لهم، كما يتــبين لنا أن علماءنا ســبقوا زمنهم بكثير في دراستهم للظواهر الصوتية.

الخاتمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد

فبعد هذا البيان لطبيعة كل من علم التجويد وعلم الصوتيات الحـديث، وحدود العلاقات بينهما اتفاقا وافتراقا يجمل أن نسجل أهم نتائج البحث:

1-إن البحث في أهمية الدراسات الصـوتية في علم التجويـد، إنما هو بحث في أساســيات هــذا العلم ومنطلقاتــه، فعلم التجويد قــائم أصلا على البحث الصـوتي، فهو (علم صـوتي) تشـكل المـادة الصـوتية للحـروف مفردة ومركبة في كلماتها وجملها لحمته وسداه.

2- تــأخَرَ البحث الصــوتي في علم التجويد قليلاً عن البحث الصــوتي عند علماء اللغة وعلماء القراءات من حيث الـزمن، إلا أنه تمـيز باسـتقلالية البحث الصـوتي وعمقه ودقته واسـتيعابه. فهو منهج صـوتي خـالص من ناحيــة، وهو منهج شــامل في دراســته لأصــوات حــروف اللغة في كل تقاليبها من ناحية أخرى.

3- حرص علمـاء التجويد على تأسـيس هـذا العلم الصـوتي الـدقيق، وكـان دافعهم لذلك الحـرص على ضـبط تلاوة القـرآن الكـريم كما أنزلها الله على رسوله **صلى الله عليه وسلم**، وصــون ألســنة المســلمين عن الوقوع في اللحن في شيء من حروفه وألفاظه.

4- يلفت النظر في هذا المقام دقة ما توصل إليه علماء التجويد قــديما في تحليلهم للظواهر الصوتية، وعمق نظرتهم رغم اعتمادهم على حواسهم المجردة، بعيدا عن التكنولوجيا الحديثة.

5- إن علم الصوتيات الحديث نشأ ونما وترعرع على أيدي الغربــيين؛وذلك لما توصلوا إليه من اختراع أجهزة صـوتية دقيقـة، تعطي وصـفا تحليليـاً للكلام أو المنطوقات من نـواح عـدة، كقيـاس الـزمن والـتردد والشـدة والطاقة، وتُظْهِر ذلك في صــورة طيفية يمكن طباعتها على الــورق[46].

---

[46] ((?ينظر: الضالع، محمد صالح، التجويـد القـرآني دراسـة صـوتية فيزيائيـة، ص، 45 بتصرف.

ومن ثم يصار إلى وضع النظريات الصوتية الخاصة بالحروف مفردة ومركبة. ورغم دقة هذه الأجهزة، إلا أن النظريات المبنية على قراءات هذه الأجهزة تبقى اجتهادية إلى حد كبير. فالأجهزة تعطي قراءات، ولكن تفسير هذه القراءات واستخراج دلالات منها يعتمد على ثقافة من يتعامل مع هذه القراءات ويحلل نتائجها، لذا نجد تباينا كبيرا بين الباحثين في النتائج التي يتوصلون إليها.

المراجع

1. ابن الجزري، محمد بن محمد ،النشر في القراءات العشر، قدم له علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1998م .
2. ابن الجزري، محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، دط، 1352هـ - 1933م .
3. ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت .
4. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط3، 1961.
5. ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ - 1994م .
6. أبو بكر، يوسف، أصوات القرآن كيف نتعلمها ونعلمها، مكتبة الفكر الإسلامي ،الخرطوم، ط1، 1973م .

6- ضرورة الاستعانة بالأجهزة الصوتية الحديثة، وبالتكنولوجيا المعاصرة، والاستفادة منها في تحديد كثير من القضايا المتعلقة بالدراسات الصوتية القرآنية، بشرط أن يكون ذلك كله منضبطا بضوابط ومحددات وضعها علماؤنا قديما ويعرفها المتخصصون في علم التجويد والقراءات في كل عصر.

7- هناك فجوة كبيرة بين علم الصوتيات وبين المتخصصين في علم التجويد، نتيجة قيام علم الصوتيات على أسس مختلفة، ونتيجة تغاير المصطلحات والمفاهيم والمنطلقات بين العلمين. ولذا فلا بد من قيام

7. الجبوري، مي فاضل، القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، دار الشؤون الثقافية العامة (وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 2000، دط .

8. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت،ط4، 1987 .

9. الحفيان، أحمد محمود، أشهر المصطلحات في فنّ الأداء وعلم القراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م .

10. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص13، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ط1، 1986.

11. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مكتبة الخلود، بغداد، دط، 1988.

12. الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م .

13. سيبويه، عمرو بن عثمان،الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1983.

دراسات تحاول تذليل هذه الصعوبات في محاولة للتسهيل على المختصين في علم التجويد الإفادة قدر الإمكان من علم الصوتيات الحديث.

وأخيراً، أسأل الله أن يديم لهذا العلم؛ علم التجويد، تهيئة من ينهض بمسئوليته ويقوم به على أتم وجه وأحسن حال، إنه خير مسؤول.

والحمد لله رب العالمين

---

14. شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة .
15. شبكة التفسير، ينظر الرابط: www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=8497 .
16. شكري، أحمد وزملاؤه، المنير في أحكام التجويد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط 10، 1427هـ - 2006م .
17. الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط12، 1994 .
18. الضالع، محمد صالح، التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية، ، دار غريب، القاهرة، دط، 2002م .
19. عبده ، داوود، دراسة في بعض أحكام التجويد في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة
20. العطّار الهمذاني، الحسن بن أحمد، التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمّان- الأردن، ط1، 1420هـ - 2000م .
21. الفضلي، عبد الهادي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، دار القلم، بيروت، ط2، 1980م .

22. الفيــومي، عبــد الواحــد إبــراهيم، المعلم المفيــد في علم التجويــد ، مطبعة مصر الحديثة، المنصورة، 1947م .

23. القاضي، عبد الفتاح، البدور الزاهرة، دار الكتاب العربي، بـيروت،ط1، 1401هـ - 1981م .

24. القضاة، محمد عصام، الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس، عمّان – الأردن، ط1، 1415هـ - 1995م .

25. قمحاوي، محمد الصادق، البرهان في تجويد القرآن، المكتبة الثقافيـة، بيروت – لبنان، دط، دت .

26. القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القـراءة وتحقيـق لفـظ التلاوة، تحقيـق:أحمـد حسـن فرحـات، ،دار عمـار، عمـان- الأردن،ط3، 1417هـ - 1996م .

27. مـدكور، إبـراهيم وزملاؤه، المعجم الوسـيط (مجمـع اللغـة العربيـة المصري) ، دار عمران، دط، دت .

28. مراد، عثمان سليمان، الـوافي في شـرح السلسـبيل الشـافي، شـرح وتحقيق: توفيق اسعد حمارشة ومحمد خالد منصور، دار عمّار، عمّان – الأردن، ط1، 1424هـ - 2002م .

الهوامش

29. المرصفي، عبد الفتاح،هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة،ط1، 2001م .

30. المرعشي، محمد، ترتيب العلوم، مركز إحياء الـتراث العلمي/ جامعـة بغداد، 1404هـ - 1984م .

31. مصطفى، محمود أحمد مروح، زينة الأداء شرح (حلية الأولياء- للشيخ سـعيد العنبتـاوي)، دار الفرقـان، عمّـان – الأردن، ط1،ـ 1420هـــ - 1999م .